هجرات النبي إبراهيم عليه السلام من العراق إلى ارض المهجر
(دراسة تاريخية)

تأليف

م.د. أسامة كاظم الطائي الباحثة فيحاء كاظم جالي الطرفي

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وشفيعنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الغر المنتجبين ومن سار على هداهم إلى يوم الدين.

شكلت دائرة حياة النبي إبراهيم عليه السلام منعطفاً تاريخياً في مسيرة الكفاح في نشر تعاليم الله تعالى الواحد الأحد في الأرض وتحقيق العدالة السماوية الواجب تطبيقها على وجه الأرض من خلال الدعوة الإصلاحية التي أرسل الخليفة عليه السلام في تطبيقها في مسقط رأسه العراق ومن ثم انسحابه نحو بقاع أخرى بغض النظر عن أسباب هذه الهجرات وتداعياتها، وعليه جاءت الرغبة لدينا في فك تشابك الروايات التاريخية التي عكفت على دراسة أسباب هجرات الخليل وملابساتها لذا وسمنا بحثنا هذا بـ(هجرات بني إبراهيم عليه السلام من العراق إلى المهجر دراسة تاريخية)، وارتأينا أن نسلك هذا الطريق الصعب الذي يحتاج إلى مزيد من البحث والتأمل والنقد والتحليل لما يحيط بقصة هجرات الخليل التي وصفتها أحلام يهودية إسرائيلية فجاءت دراستنا هذه لغرز ما هو صحيح ونبذ ما هو خاطئ وصولاً إلى الحقائق التاريخية المبتغاة، كما ان الصعوبة في خوض هكذا دراسات تكمن في انها لم تعتمد على الوثائق والنقوش المسمارية مما جعل الدراسة تتركز في بقائها على النص الاخباري التي يصل بعضها إلى الأساطير.

وقد قسم البحث إلى فصلين ركزنا في أوله على سيرة نبي الله إبراهيم في العراق والثاني تضمن هجرات النبي إبراهيم التي اتجهت إلى ثلاثة أقطار وهي الشام ومصر ومكة، وأخيراً نسأل الله تعالى ان أكون قد وفقت في تقديم هذا الموضوع وان أخطأت فهو في النهاية عمل إنسان يخطأ ويصيب. ومن الله التوفيق.

الفصل الأول

سيرة نبي الله ابراهيم عليه السلام في العراق

المبحث الأول- موقف نبي الله ابراهيم عليه السلام من عبادة الكواكب والأصنام

أولاً- موقف النبي ابراهيم عليه السلام من عبادة الكواكب [١]

لقد قدم لنا القرآن الكريم المناظرة التي دارت بين نبينا إبراهيم عليه السلام وبين قومه من عبدة الكواكب في الآيات الكريمة من سورة الأنعام قوله عز وجل﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، والآيات الكريمة تفيد ان إبراهيم ﷺ تطلع إلى السماء ، فرأى كوكباً يعبده القوم فقال : ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي انه لا يحب الإله المتغيرة المتحولة التي لا تبقى في مكان واحد ولا تستقر .ثم تطلع عليه السلام بعد ذلك إلى السماء ، فرأى القمر ساطعاً يأخذ نوره بالأبصار فقال :هذا ربي ، لكنه لم يلبث الا يسيرا ، ثم أفل واحتجب نوره ، فقال إبراهيم بعد ذلك ،﴿ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ، ثم رأى الشمس في كبد السماء بعد ذلك ، يعم نورها ارجاء الأرض وتملأ اشعتها الكون دفئاً وضياءاً فلم يلبث ان رآها تأفل كما أفل الكوكب وكذلك القمر من قبل فقال : ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٣] ، وهكذا فقد اختلف المفسرون في وقت هذه الرؤيا وفي وقت هذا القول فقد ذهب فريق الى انه ذلك الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لأن الأحكام انما تثبت بعد البلوغ ، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على ما روي في تفسير المأثور من عبادته عليه السلام لهذه الكواكب في صغره وإتباعه لقومه ، حتى أراه سبحانه وتعالى بعد كمال التميز وحجته على بطلان عبادتها والاستدلال بأحوالها وتعددها وغير ذلك من صفات ذلك الكوكب وعلى اعتبار انها من خلق الله وان ذلك كله كان قبل النبوة ودعوتها ومنه قصة طويلة مروية عن محمد بن إسحاق فيها ان إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في مغارة اخفته فيها خوفاً عليه من الملك (النمرود بن كنعان) ان يقتله اذ كان قد اخبره المنجمون بأنه سيولد في قريته غلام يفارق دينهم ، وليكسر أصنامهم فشرع بذبح كل غلام يولد في ذلك الشهر الذي وصف أصحاب النجوم من السنة التي عينوا فيها ان إبراهيم كان يشب في اليوم ، كما يشب غيره في الشهر وانه طلب من امه بعد خمسة عشر يوماً من ولادته ان تخرجه من المغارة ، فأخرجته فنظر وتفكر في خالق السموات و الأرض وذكر رؤيته للكواكب فالقمر والشمس و

أنواعها[٤] .وكان لله تعالى قد خصه بالعقل الكامل و النظرة السليمة ومن ثم قد تفكر في نفسه وقال : لابد لهذا الخلق من خالق ،وهو اله الخلق ثم نظر حال تفكره فرأى الكواكب وقد ازدهر فقال :هذا ربي وذلك في حال طفولته وقبل استحكان النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى وقد استدل أصحاب هذا القول على حجته بقوله : ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ، وهذا يدل على نوع التحير و ذلك لا يكون الا في حالة الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة [٥]، وهناك وجهة نظر ثانية وهو الذي جزم به الجمهور[٦] ، من ان ذلك كان في مقام المناظرة والحجة لقومه وإن هذه الرؤية وهذا القول انما كان بعد بلوغ ابراهيم عليه السلام وحين بشر فيه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة وقد حدث بين أصحاب هذا الرأي خلاف في تفسير الآية وتأويلها تحمل من معانٍ مذكراً فيها وجوهاً [٧]:

الوجه الأول : إن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون إن الأمر كله ألها لا لله خالقهم فأراهم إبراهيم عليه السلام تعظيمه وما يعظمون مما آفل الكواكب وآفل القمر وآفل الشمس وأراهم النقض الداخل على النجوم بسبب الأقوال ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون منها من الإلوهية [٨]، ويقول الأستاذ النجار : ويرى فريق من الناس انها تدرج في تكوين العقيدة ذلك ان القوم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها على أسماء الكواكب كالشمس و القمر و نحوها ، وإنما الله هو الذي خلقهن وخلق السماوات و الأرض وبيده ملكوت كل ما فيها وإن التماس الصحة والعافية من غير الله باطلة[٩].

أما الوجه الثاني : فان إبراهيم عليه السلام قال : هذا على سبيل الإهانة لقومه وقوله أهذا ربي الذي تزعمون به ، وقد جرى العرف على إسقاط حرف الاستفهام وهو مؤكد في الكلام كقوله تعالى : ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [١٠]، يعني أَفهُم الخالدون؟ ، المعنى فيما تحت بصدره ، ويقول ألنسفي[١١] : كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام و الشمس والقمر فأراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى الطريق الصحيح ويعرفهم إن النظرة الصحيحة يؤدي إلى شيء منها ليس بإله ، فلما رأى الكوكب الذي كان يعبدونه قال : (أهذا ربي) أي اقل لهم : هذا ربي في زعمكم والمراد أهذا استهزائكم وإنكار عليهم تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه.

أما الوجه الثالث : لو كان ألها مما تزعمون كما غاب فهو كقوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١٢]، يعني عند نفسك وزعامتك وقد جرى العرب على أخمار القول ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [١٣]،

أما الوجه الرابع : إن في هذه الآية الكريمة إضماراً تقديره : يقولون :هذا ربي ، أي يقولان : ربنا تقبل منا [١٤].

على إن هناك وجه خامساً يذهب إن الله سبحانه وتعالى قال في حق إبراهيم عليه السلام ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ﴾[١٥] ،هذا فضلاً عن تشبيه إرادة الله تعالى اياه هذا الملكوت وما يترتب عله من إبطال ربوبية الكواكب بضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام ومن التعقيب على ذلك كحاجة قومه وقوله تعالى في عبادة :﴿**انه أتاه الحجة عليهم**﴾[١٦].

ثانياً : موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام من عبادة الأصنام .

كان قوم إبراهيم عليه السلام كما أشرنا يعبدون الأصنام، كما كانوا يعبدون الكواكب والنجوم ومن ثم فقد أرسله الله تعالى إلى قومه يدعوهم إلى عبادة اله وحده، إذ قال الله تعالى :﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[١٧]، وهكذا تشر هذه الآيات الكريمة بوضوح إلى دعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام مرسومة الخطوط وواضحة المعالم يُشر فيها وانذر غير أن القوم قد تملكهم الغرور وركبوا رؤوسهم وقد عز عليهم أن يرجو إلى الحق أو يرجعوا إلى الرشد وهم يحسنون أن آلهتهم تنجيهم من عذاب اليم ينتظرهم، ولم تكن تلك الآلهة التي أصموا آذانهم من كلمة الحق فيها ، غير نصه وأوثانه من حجارة وخشب، لا تنفع ولا تضر لكنهم كانوا يعظمونها ويقدسونها ويركعون لها ويقدمون القرابين [١٨]. وهنا لعل من الأفضل ان نناقش موقف ابراهيم عليه السلام منهم ومن أوثانهم وكذلك موقفهم منه عليه السلام في شقين ، الأول مع أبيه والأخر مع قومه :

أ – بين إبراهيم و أبيه :

كان والد إبراهيم عليه السلام في طليعة عابدي الأصنام وصانعيها من الخشب والداعين إليها أيضا وكان يعرضها للناس من يرغب بشرائها وقد عز على إبراهيم عليه السلام أن يكون أبيه زعيماً من زعماء المشركين[١٩]، وإماماً من أئمة الشرك فقد رأى إبراهيم عليه السلام إن من واجبه أن يبصر والده

بأمره ويحذره من عاقبة كفره بما فيه الخير له ، وحرصاً على أن يكون مسلكه سليماً فيتبع الدين القويم والطريق المستقيم و قرر إبراهيم عليه السلام مفاتحة والده في الأمر وهو مؤمن بما للأبوة من جليل قدر ورفيع الشأن . ويقص لنا القرآن الكريم كيف بدأ النبي عليه السلام دعوته مع أبيه بلهجة تسيل أدباً ورقه يهديه بها صراطاً مستقيماً فأشار إلى الأصنام مبيناً إنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا ترى ولا تشعر بعابديها ثم بين لأبيه انه ليس مخترعاً للدعوة وإنها من لدن علي قدير وأنه قد تلقى من العلم ما لم يتلق أبوه وأنه لا ضرر عليه إن اتبع ملة ولده أو عمل برأيه وأختتم نصيحته برجاء تقدم به إلى أبيه أن يحذو حذوه ويسلك سبيله وان الطريق الذي يسلكه الأب هو طريق الشيطان ويريد إهلاك الناس ومن عصى ربه من رحمته [٢٠] ، ولكن (أزر) رفض الدعوة بل وأصر على عناده وصمم على كفره وتجاهل وأنكر إشفاقه به ونصحه له وهدد إن لم ينته عن دعوته هذه ليزحمنه وليهجرنه ملياً وكان (أزر) في ذلك مغمضاً عينيه عن اعتبارات النبوة وسخر من الشرعة الجديدة فما كان في الخليل إلا تأدباً مع أبيه وإلا أن يدعوا له بالمغفرة وان ينتصر إجابة دعوته إلى حين [٢١] .

ولنقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة مريم حيث قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾ [٢٢]، وهكذا تشير الآيات الكريمة إلى شخصية النبي إبراهيم عليه السلام الرضي الحليم تبدوا في وداعته وحلمه في ألفاضه التي يحكي بها القرآن الكريم والى تصرفاته ومواجهة جهالة أبيه [٢٣] ، وقال الرازي في كتابه التفسير الكبير إيراد الكلام بلفظة (يا ليت) في كل خطابه عليه السلام دليل على شدة حبه ورغبته في صون أبيه من العذاب وإرشاده إلى الصواب وقد رتب النبي عليه السلام الكلام في غاية الحسن لأن ه نبه إلى بطلان الأوثان وقد ختم كلامه بالوعيد مع رعاية الأدب والرفق وقوله : (إني أخاف) دليل على شدة تعلق قلبه بمصالحة لحق الأبوة [٢٤] ،غير ان خلاف بين أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وأبيه عميقاً جداً فكان أب إبراهيم يقابل الدعوة بالاستنكار و التهديد و الوعيد بل ويأمر ولده بالهجرة ما دام راغباً في آلهته حيث لا أمل في الاتفاق معه ، ولم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وعطفه وأبه مع أبيه قال : ﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾ وهكذا يرد إبراهيم عليه السلام على تهديد أبيه فلا جدال ولا أذى سأدعو الله أن يغفر لك فلا يعاقبك بالاستمرار بالضلالة وتولي الشيطان بل عسى أن يرحمك ويرزقك الهدى من ربي وليكرمني

فيجيب دعائي وان كان وجودي إلى جوارك وادعوا ربي وحده وبسبب دعائي لله إلا يجعلني شقياً [٢٥].

وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه مدة طويلة، وبعد ان هاجر إلى الشام وبعد ان بنى المسجد الحرام وبعد ان ولد له إسماعيل وإسحاق(عليهما السلام) كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [٢٦]، ولم يجد إبراهيم عليه السلام من بين القوم من يؤمن به الا ابن أخيه لوط عليه السلام كقوله تعالى:﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾[٢٧] ، ومن ثم فقد اعتزل إبراهيم أهله وودع والده ثم هجره لحكمه وهي حرصه على ان لا يكون في امامته مع أبيه معنى الرضا بالعصيان وكفرانه ويكتب الله جل جلاله للجليل عليه السلام وكذا لأبن أخيه لوط النجاة من القوم الكافرين بعد ان اعدوا العدة لإحراقه ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٨]، أوليس في هذه الآيات الكريمة ما يشير إلى هجرة أبي إبراهيم معه، بل ان القرآن الكريم يشير بصراحة ووضوح ان إبراهيم عليه السلام لما برأ من أبيه .

ب- بين إبراهيم وقومه :

ان نبينا إبراهيم عليه السلام كان عظيماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ و دلالات ولم تكن الشدائد التي وقفت في طريقه و الأهوال التي اعترضته لم تهون من عزيمته فلقد كان عليه السلام في احرج موقف في بعده عن أعز قومه وهو ابوه ودعوته الى أبيه في ترك الأصنام وتبين ذلك في لهجته وقد ضربت هذه الأحداث في نفس إبراهيم لكنها لم تكن تفقده الأمان ولا تدخل في قلبه اليأس وقد زاده اصراراً في جانب الكفار قوة على قوته فأعتزل اباه وقومه ومضى في طريقه منتصرً بخالقه وباعثه الى الناس رسولاً ونبياً[٢٩]، وهكذا كانت مواقف النبي إبراهيم عليه السلام مع قومه متعددة فتارة يحاج أبيه وتارة يحاج قومه وتارة أخرى يحاج الملك النمرود [٣٠].

ويقص علينا القرآن الكريم في آيات كريمة من سورة مريم [٣١]: كيف بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته مع أبيه وكيف كان يريد ان يهديه إلى الصراط المستقيم، كان وكيف ان أبو إبراهيم قد رفض الدعوة، وهدده ان لم ينته عنها ليهجرنه ملياً، فما كان من ابي الأنبياء تأدباً مع أبيه وصبراً عليه ويدعو له بالمغفرة [٣٢]، غير ان الأمور سرعان ما بدأت تتأزم بين الخليل عليه السلام إلى ان عبادة الله الواحد القهار إلا ان القوك ظلوا في طغيانهم يعمهون مما دفع الخليل عليه السلام إلى ان يجرب معم وسائل حسنة ومن ثم فقد حطم الأصنام وترك كبيرهم لعل القوم يفكرون في الموقف الجديد، آملاً في ان يهديهم الله سواء السبيل، فيعرفوا ان هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعاً ولا تملك منها ضراً ، فضلاً عن ان يكون ذلك للقوم أنفسهم إلا ان هذه العقول المتحجرة لم تزد على ان تلجأ إلى العنف لنصرة أصنامهم ولم تجد لها مخرجاً إلا ان تلقي بإبراهيم في النار

ظنوا انها ستكون القاضية على النبي إبراهيم عليه السلام وانها الحل لمشكلتهم مع هذا الذي سفه عقولهم وحطم أصنامهم دون ان يفكروا مرة في مقابلة الحجة بالحجة دون ان يرجعوا إلى الحق ما دام إبراهيم عليه السلام وتلك عادة من طمس الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم في كل زمان ومكان لا يعرفون إلا القوة الطاغية ضد العقول المستنيرة [٣٣]، وإذا قرنا هذه الآيات الكريمة من سورة الأنبياء:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**﴾[٣٤].

تقدم لنا الآيات الكريمة حلقة يسيرة من حياة أبي الأنبياء ومع قومه وتبدأ بالإشارة إلى هداية إبراهيم عليه السلام بالرشد والعقل المستنير ويعني هذا الهداية إلى التوحيد فتشير كلمة أو لفظة (الرشد) هنا إلى محاجة إبراهيم إلى قومه ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾[٣٥]، فكانت أقواله هذه دليل على رشده فقد سمى هذه الأحجار والخشب باسم التماثيل ولم يقل آلهة واستنكر بشدة ان يعكفوا عليها بالعبادة، وكلمة عاكفون تعني الانكباب الدائم والمستمر وهم يقضون وقتهم في عبادتها وهي الأصح تعبيرياً.

وفي الحقيقة كان جواباً لقوم إبراهيم وحجتهم ان ﴿ **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**﴾[٣٦] وهو جواب يدل على التحجر العقلي والبعد عن الإيمان والتحرر من الحقيقة والواقع وعدم الانقياد إلى اله إبراهيم عليه السلام إذا فالقيم لا تتبع من تقليد الآباء وإنما تتبع من التقويم والعقل الذي يملكه الإنسان وان إبراهيم الخليل عليه السلام مستقين وواثق وعارف ربه متمثل له في فكره وخاطره فهو مطمئن.

ثم يعلن إبراهيم عليه السلام تمكن ما كان يوجهه إلى قومه من كلام لان قومه اعتزوا بأصنامهم وقولهم احرقوا إبراهيم في النار للتخلص منه ومن الإله الذي جلبه لكم الكافرون في شرككم لكن هنا تظهر كلمة الحق وهو الله وهي الكلمة العليا لان بها كلمتهم وهي (احرقوه) فأبطلت كل أقوالهم مما هو مبين في الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [٣٧].

المبحث الثاني- موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام من السلطة الحاكمة

ولد النبي إبراهيم عليه السلام في زمن الملك الطاغية (نمرود) وكان ملك متآله كما ذكره الطبري وقال أيضاً اسمه والى ابن نيتسمي فقال هو: النمرود بن كوشن بن كنعان بن حام بن نوح [٣٨]، ويرجح الطبري انه كان ملك بابل وهو صاحب إبراهيم عليه السلام وهو الذي اخبر الله عز وجل عنه في كتابه العزيز ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ**

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٩)، إذ لم تقف معاناة إبراهيم عليه السلام عند محاجة أبيه وقومه وإنما أيضاً وصلت إلى الملك الطاغية الذي يدعي الإلوهية وانه نسب الاحياء والاماتة له.

ويقول أبو الفرج ابن الحنبلي " ان حقيقة الأحياء والأماتة التي فسرها غير التي يقصدها نبي الله إبراهيم عليه السلام أو فهم انه قصد الاصطدام معه وبين النبي عليه السلام وأراد الملك ان يقطع المحاججة (٤٠).

أما ابن قيم الجوزية لم يقل احد من المفسرين قط معنى هذه الآية ان هذا الاحياء والاماتة حاصل مني ومن كل احد بل لا تنقطع بان هذا لم يخطر بقلب المشرك المناظر وقد ظن جماعة من أرباب الجدل ان إبراهيم انتقل مع المشركين من حجة إلى حجة ودليل ذلك انه لم يجبيه عن قوله: أنا أمي راميت لان إبراهيم عليه السلام فهم مراده من الاحياء وهو استبقاء الحي على حياته وبالتالي فقد انتقل إلى حجة أوضح من الأولى فقال: ان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب.

وربما كان ابن كثير مقتنعاً أكثر والى حد ما فكيف يجوز إنسان لنفيه ان يدعّي ان يحي ويميت إلا إذا كان قاصداً تاليه نفسه أي ان ابن كثير ناقض كلام النمرود وعندما عطف فعل فرعون على فعل النمرود في ادعائه الإلوهية عندما كان فرعون يدعي الربوبية لا الإلوهية فقط قال **﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾** (٤١).

والعجب ان بعض المؤرخين المسلمين قد تابعوا التوراة فيّرون القصة كما جاءت في التوراة وان حاولوا إضافة عليها الصبغة الإسلامية، فعندما يطلب إبراهيم عليه السلام من سارة ان تقول لفرعون انها أخته، إنما يفسرون ذلك انه ليس على وجه الأرض غيرها مؤمن فهي إذن أخته في الإسلام، ثم ان فرعون لم يستطع ان يقضي منها وطرة (٤٢)، ولعل سائلاً يسأل " هل عرفت مصر حتى أيام الهكسوس والذين يسميهم المؤرخون الإسلاميون العماليق – ملكاً يحمل اسم– (سنان بن علوان) أو حتى (حارون بن صاروف) سواء أكان اخو الضحاك أو كان غلاماً لنمرود والجواب هنا : ان التاريخ المصري كله لا يعرف هذه الأسماء ومن أين جاء المؤرخون المسلمون على ان الأمر الذي يدعو العجب ادعاء الرواة ان إبراهيم عليه السلام قال ع ن سارة انها أخته ، لأنه لا يوجد على ظهر الأرض غيرها من المؤمنين ولا عجب من ذلك ان تأتي الرواية ن كبار المفسرين ولا يشير لها القرآن الكريم وإنما يصرح ذلك دون لبس أو غموض ان الذي امن بإبراهيم عليه السلام هو لوط بقوله تعالى: **﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**(٤٣)، وبقوله : **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾** (٤٤)، ان هناك ما يشير إلى هناك مؤمنين آخرين مع إبراهيم عليه السلام غير لوط ، وقد قال أيضا الله عز وجل تأكيداً في قوله **﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا**

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (٤٥)، فماذا يقول هؤلاء الرواة في هذه الآيات الكريمة التي تتعارض روايتهم ولعل هذا هو الذي وعى ابن كثير انه يرى ان إبراهيم عليه السلام إنما كان يعني زوجين مؤمنين وغير له لأن لوطا كان معهم وهو النبي عليه السلام (٤٦)، وكان ابن كثير إنما يسلم بالقصة ولكنه يحاول ان يخفف من تعرضهما مع القرآن الكريم بتفسيره هذا الذي يخالف اجماع رواة القصة التوراتية مع المؤرخين المسلمين.

المرجح ان نمرود دعا إلى عبادته من دون الله ووحد في ضعفاء الناس أذاناً صاغية وقلوباً خاضعة وأجساداً متذللة لأله لاستحق إلا انه استخف بهم فأطاعوه (٤٧).

إذن لم تقف معانات إبراهيم عليه السلام في محاجة وحوار مع أبيه وقومه وإنما تعدتهم إلى الملك الطاغية الذي يدعي الإلوهية واستحقاق العبادة وذلك بعد ان نسب لنفسه الأحياء و الأماته كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٨).

ويقول ابن قيم الجوزية : لم يقل احد من المفسرين قط إن معنى الآية : إن هذا الأحياء والأماته حاصل مني ومن كل احد بل هي محاجة أي انه انتقل إلى حجة أخرى وكانت أوضح فقال : إن الله يأتي بالشمس من المشرق فاتِ بها من الغرب إذ إن الملك النمرود أن يأتِ بالشمس من الغرب إن تستطيع ، وهذا برهان لا يقبل المعارضة، فلما تأكد عدوا الله من انه لم يستطيع وانه لا يسلح للربوبية وبهذا يكون نبي الله إبراهيم عليه السلام قد أبطل مذهب عبادة الكواكب و النجوم والقمر والشمس ولذلك هذه هي الأصنام الجامدة وعلى رأسهم ملكهم (٤٩) .

الفصل الثاني

هجرات النبي إبراهيم عليه السلام

أولاً : هجرته من بابل إلى ارض الشام .

بعد إن رأى إبراهيم عليه السلام إصرار قومه من أهل بابل على الكفر وعدم الجدوى وإقدامهم على إحراقه بالنار وقد نجاه الله سبحانه وتعالى من شرهم وكيدهم ولم تجد مناظرته مع ملكهم أي نفع ، خرج متجهاً إلى مدينة حران وبصحبته زوجيه سارة وابن أخيه لوط عليه السلام فنزلوا حران (٥٠) ، وقد قال ياقوت الحموي عن بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ (٥١) ، وكقوله تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٥٢) ، والقول الصائب عن ذكر بعض المفسرين إن النبي إبراهيم عليه السلام لم يهاجر إلى حران وإنما مر بها في هجرته إلى ارض كنعان بالشام (٥٣) ، ثم إن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين إنما هي ارض فلسطين وليست حران كما يشهد لذلك بعض الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرناها ولم يدم مقام إبراهيم عليه السلام في مدينة

حران لأن أهلها كانوا كفاراً من عبدة الأصنام و الكواكب ، إن النبي عليه السلام دعاهم إلى توحيد الله وترك ما هم فيه من بطلان لكنهم أصروا ، لذلك خرج مواصلاً هجرته فنزل النبي إبراهيم عليه السلام بالشام وأقام شرقي بيت المقدس دهراً يدعوا الناس إلى عبادة ربه لكن اجتاحت ارض الشام موجة قحط شديدة وأصابها هذا القحط سنون طويلة فرأى النبي إبراهيم عليه السلام أن يخرج إلى مصر طلباً في الميرة [٥٤] ، إذن حسب قول بعض المؤرخين إن هجرة نبينا إبراهيم عليه السلام كانت مبنية بصورة أدق تدعو إلى توحيد الله وحمل لواء الأيمان والجدير بالذكر إن نبينا عليه السلام لم يكن ملكاً ويلتف حوله الجماهير بل كان نبياً مرسلاً وعليه أن يهاجر هو ومن معه فأذن هي هجرات بشرى يبشر للناس بالدين الجديد ويدعو الناس إليه حسبما قص علينا القرآن الكريم في بدايته عليه السلام بدعوته إلى أبيه ومن ثم قومه وجد الملك تلك المحاججة لم تنفع .

ثانياً : هجرته إلى مصر

بعد ان قام إبراهيم الخليل عليه السلام في ارض كنعان رحل عنها صوب ارض النيل (مصر) بسبب المجاعة التي قد حلت بأرض كنعان [٥٥]، ومصر كانت دائماً مقراً للبدو والكنعانيين وبخاصة في أوقات القحط وهي منقذهم الوحيد فحينما كانت الأرض تجف في أوطانهم كانت ارض كنانة لهم المأوى والمرعى حيث النيل بفيضانه المنتظم.

وقد أتى في التوراة ان رحلة الخليل عليه السلام إلى ارض الكنانة فتقول: ان الخليل قد هاجر بزوجته سارة إلى مصر بسبب القحط الذي أصاب ارض الكنعانيين وعندما اشرف على التخوم المصرية اتفق مع سارة على ان تقول انها أخته وليست زوجته ذلك لأن المصريين ان كانت أخته فمن اجلها أكرموه، وحدث ما توقعه، وأبرت سارة بوعدها وأخذت إلى بيت فرعون ونال إبراهيم عليه السلام خيراً بسببها، اذا سبع عليه فرعون نعم كثيرة، إلا ان المصائب سرعان ما أخذت تتوالى على فرعون وبنيه مما اضطره ان يستدعي إبراهيم عليه السلام ويؤنبه على فعلته هذه ((لماذا لم تخبرني انها امرأتك، لماذا قلت انها أختي حتى أخذتها لي فتكون زوجتي)) ثم يصدر أمره بطرد إبراهيم عليه السلام وامرأته في مصر وان سمح له ان يأخذ كل ما قد أعطاه من قبل [٥٦]، وفي كتاب سفر التكوين والى رجعنا إلى نصوص التوراة لعلمنا ان إبراهيم عليه السلام قد جاء إلى كنعان وهو في الخامسة والسبعين من عمره، وان سارة كانت في الخامسة والستين من عمرها [٥٧]، وانهما أقاما في ارض كنعان ثم هاجرا إلى مصر، فهل كانت سارة قد جاوزت الخامسة والستين من عمرها بسنتين عدداً حتى تفتن الرجال فضلاً على ان يكون فيها لملوك مصر المتزمين ارباً، ثم ليست هي نفسها قد وصفت بانها قد صكت وجهها وقالت: أيحدث هذا مع عجوز عقيم وبعلها شيخ كبير [٥٨] ، وقد بشرت بإسحاق كما ذكره سفر التكوين في الاصحاح والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى **﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾** [٥٩].

ويقول القرآن الكريم هناك مؤمنين آخرين امنوا غير لوط عليه السلام يقول القرآن: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [٦٠]، فماذا يقول هؤلاء الرواة في هذه الآيات التي تتعارض وهذا يتضح في قول ابن كثير إلى ان برى ان إبراهيم عليه السلام إنما كان يعني زوجين مؤمنين غير لوطاً لأن لوطاً كان معهم وهو أيضاً بني عليه السلام [٦١] . وكان ابن كثير يخالف رواة القصة التوراتية وحينما رجع يقال في بعض المصادر ان نبي الله إبراهيم عليه السلام قد تزوج أيضاً امرأة مصرية و هي هاجر [٦٢] .

ثالثاً : هجرته إلى مكة .

١-هجرته عليه السلام الأولى .

بعد عودة إبراهيم عليه السلام من مصر مروراً بأرض كنعان أولاً عاد إليها مرة ثانية أي عاد إلى ارض الشام هو وزوجته سارة و هاجر كانت بصحبتهم ومعهم أموال وخيرات فأقام في الشام قرب بيت المقدس قرابة عشرين سنة [٦٣] ، ثم دعا ربه إلى الخلف وطلب الولد مرة ثانية وان يهبه ولداً وان يكون من الصالحين فوهب له الله إسماعيل عليه السلام فأذن الله سبحانه ان يذهب بهاجر ورضيعها إلى مكة لحكمة ما ، لا يعلمها إلا الله يبارك وتعالى فهب لربه منفذاً أمر الله فخرج صوب مكة وهناك تركهما وديعة عند الله بين جبال مكة وهم بجوار بيته الحرام وليس معهما سوى تمر وماء ولما أراد ان يرجع إلى الشام تبعته هاجر تسأله إلى من يتركها في هذا المكان المقفر الموحش حيث لا أنيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء وأخذت تلح عليه فلم يرد عليها مسألة ان كان الله هو الذي أمره بهذا ؟ فقال : نعم فسلمت أمرها لله وحده ورضيت بحسن قضائه وقدره و أيقنت بلطفه و حفظه ورعايته لهما و قالت : اذاً لا يضيعنا ، ثم اتجه إبراهيم عليه السلام قِبل الشام بعد ان استقبل بيت الله الحرام داعياً بما ذكره القرآن الكريم عنه بقوله ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [٦٤] ، و مكثت هاجر وطفلها يشربان مما معهما من ماء حتى نفدَ ما عندهما فأصابهما الظمأ فاخذ الطفل يتلوى من شدة الظمأ ويفحص برجليه الأرض فلم تحتمل هاجر هذا المنظر وابنها في هذا الوضع المؤلم وقد دفعها حنان الأم وعطفها ان تسّعَ جادة بالبحث عن ماء لتنقذ ابنها الرضيع وإلا سوف يحل بهم الهلاك فنظرت فإذا بالصفا اقرب جبل بها فارتقت عليه وأخذت تنظر يميناً و شمالاً علها تجد الماء أو ترى احد يسعفها فلم ترّ شيئاً فهبطت لوادي وواصلت سيرها حتى بلغت جبل المروة و قامت تنظر هل من ماء فلم ترّ شيئاً فعادت إدراجها إلى الصفا ثم المروة و كررتها سبع مرات .

ويقول الطبري : ان في هذه الآية الكريمة عدة بشارات لأن مثله إنما يقال في حق الأولاد و بالأخص غلام منذ صغره وهو ذو ابتلاء حتى كبر وبلغ الحلم إذ مر بأمر أصعب من

انه كان طفلاً رضيعاً وهي مسالة الذبح في قوله تعالى ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٦٥]، ان المؤمن الذي هجر الشرك و بلاده وأهله وقومه يستحق ان ينال من الله أجراً عظيماً كما كانت ولادة إسماعيل عليه السلام وأخيه ثواباً لهجرة أبيهم كقوله عز وجل :﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [٦٦] ، وهذه إشارة بالتضحية و الغربة و البعد عن الوطن ويرزق بعدها بغلام يشهد له ربه ابه حليم حتى لم يكاد يأنس به ويبلغ معه السعي حتى يرى في منامه انه يذبحه ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية و انه لا يتردد ولا يخالجه أي شعور سوى الطاعة لله وحده عز وجل ولا يخطر له التسليم له بحيث يعرض على ابنه هذا العرض و يطلب إليه ان يتروى في الأمر لكن الأب يريد تنفيذ إشارة ربه فيتلقى الأب من ابنه الأمر و الطاعة الكبيرة و الاستسلام لله وحده ، لو أردنا استقصاء الدروس و استنباط الحكم و العبر من هذا المطلب ان نبينا إبراهيم عليه السلام أراد ان يعلم جميع الإباء قواعد التعامل مع أبنائهم تعاملاً راقياً وكيفية التحاور وكيف يفرض على أبنائهم الأمور ويملي عليهم الواجبات وكيفية اتخاذ القرارات .

٢-هجرته الثانية :

ترك إبراهيم عليه السلام فلذة كبده في تلك البقعة النائية حيث لا أنيس ولا سمير ولا زاد ولا ماء تسليماً لرب العالمين و رضاءاً بقضائه فلما شبّ الغلام و سرّ أباه إبراهيم عليه السلام برؤيته وقرة عينه أوحى الله تعالى في هذا الوقت بذبح ولده إسماعيل عليه السلام فعزم على الذهاب لتنفيذ أمره عز وجل فكانت لُعبة الاهية لإبراهيم عليه السلام تحمل مهمة شاقة و صعبة و مجهدة للنفس لأنها كانت تحمل في طياتها ابتلاء وأي ابتلاء هو ذبح ولده إسماعيل عليه السلام [٦٧] ، فلما رأى إبراهيم الخليل عليه السلام في منامه انه يقوم بذبح ابنه و رؤيا الأنبياء (عليهم السلام) حق فيما كان منه ، بعد رأى ذلك إلا انه هب مسرعاً تجاه مكة لتنفيذ أمر الله و ارتحل حتى بلغ مكة ولقي ابنه إسماعيل وبعد فراغه من السلام عليه اصطحبه خارج مكة متجهاً إلى حيث أمره الله تعالى وهنا اسّر إبراهيم عليه السلام ابنه انه رأى انه يذبحه فاستجاب الغلام لأمر ربه وأسرع بالطاعة إلى الله فلما ذهب به أبوه حيث أراد ذبحه كان على إسماعيل عليه السلام قميص ابيض وقال يا أبتِ انه ليس لي ثوب تكفنني فيه ويقال انه قد تعرض له الشيطان عند ليصده حتى ذهب [٦٨] ، هنالك تله الجبين أي انه كبه على وجهه و يكون جنبه على الأرض يريد ذبحه و هنالك أدرك لطف الله وفداه بكبش عظيم .

الهجرة الثالثة :

عندما ذهب إبراهيم عليه السلام وودع ابنه إسماعيل عليه السلام اشتاق إليه والى رؤيته لهذا تطلع إلى رؤيته مرة ثانية والى زيارته والوقوف على أخباره والاطلاع على أحواله وسار إبراهيم : حتى بلغ مكة واتى الدار التي يسكن فيها إسماعيل عليه السلام فلم يجده فسال زوجته وكان قد تزوج امرأة من جرهم فأخبرته بأنه خرج يبتغي لهم رزقاً فسألها النبي عليه السلام عن عيشتهم وحالهم فأبدت الشكوى

والضجر وعدم الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى فرأى النبي إبراهيم عليه السلام ان هذه المرأة لا يمكن ان تصلح زوجة لولده ففسد عليه بيته وحياته فأوصاه بطلاقها ذلك حين صم قافلاً إلى بلاد الشام حمّلها ان تبلغ إسماعيل عليه السلام وتخبره بوصيته وبوجوب تغير عتبة داره فلما رجع إسماعيل واخبرته بوصيته، فلما رجع إسماعيل عليه السلام كأنه انس شيئاً فسال أهله هل جاء احد فقالت : نعم جاءنا شيخ حفنة كذا وكذا كالمستخفة بشأنه، قال: هل قال لك شيئاً ، قالت: نعم، سألني عن حالنا وأحوالنا وعيشتنا، فأخبرته إنا نحن في ضيق وشدة قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأك السلام ويقول لك غير عتبة دارك فقال: ذلك أبي وأنت العتبة، أمرني بمغادرتك فالحقي باهلك فطلقها استجابة لرغبة أبيه عليه السلام كما وضح ذلك النبي الأكرم في العديد من أحاديثه(٦٩).

الهجرة الرابعة

فارق إسماعيل عليه السلام زوجته التي كانت من قبيلة جرهم حسب رغبة أبيه وتزوج بأخرى ومن نفس القبيلة، وقد لبث إبراهيم عليه السلام عنهم ثم أراد ان يزورهم فخرج حتى جاء مكة فلما بلغ فنزل ابنه إسماعيل عليه السلام فلم يخبره، كما في المرة السابقة فسال زوجته فأخبرته انه خرج يبتغي لهم رزقاً ورحبت به وصيّته وقابلته بأحسن ما يقابل به ضيف فسألها عن عيشهم وحالهم فاقتل: نحن بخير وسعة واثنت على الله تعالى خيراً فقال: فما طعامكم؟ قالت : اللحم قال فما شرابكم قالت: الماء، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء(٧٠)، فلما أراد إبراهيم عليه السلام الرجوع إلى الشام أوصاها ان تبلغ زوجها السلام وان تقول له: ثبت على عتبة دارك ، فلما جاء إسماعيل عليه السلام كأنه انس شيئاً، فسال زوجته هل جاء احد؟ قالت زوجته: نعم جاء شيخ حسن الهيئة وأخذت تصفه بصفات حسنة وتذكره بكل ما يزن من الاحترام أو التقدير وقالت: سألني عنك فأخبرته وسألني عن عيشها وحالنا فأخبرته أنا بخير وأحسن حال ! قال إسماعيل عليه السلام فهل أوصاك بشيء : قالت نعم يقرأ عليك السلام ويقول لك: ثبت عتبة دارك قال: ذلك أبي زانت عتبة الدار فأمرني ان أمسكك (٧١)، كما وضح النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في العديد من الأحاديث.

الخاتمة

الحمد لله كثيراً يوافي نعمه ويوازي جليل قدره والصلاة والسلام على حبيبه وصفيه من خلقه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وبعد إكمال بحثي توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- اتبع نبينا إبراهيم الأساليب الممكنة في توصيل الدعوة إلى أبيه ومن ثم قومه من خلال المواجهة والأدلة والمحاججة والحوار.

٢- قيام النبي عليه السلام عمل توحيدي تمثلت بكثرة الأصنام والتماثيل التي لا تنفع ولا تضر عسى ان يغير هذا المنكر.

الهوامش

(١) لقد عبد سكان بلاد الرافدين منذ القدم الثالوث المقدس الذي يتكون من انو ، انليل وأيا وقد اعتبر القوم أنو بمثابة الإله الأعظم وكان يتصدر قوائم الآلهة ويلقب بملك السموات وكانت مدينة لوبوك مركز العبادة اما انيلي وهو اكبر مسودات السومرين والذي يلقب بملك أو سيد البلاد وكانت نيبور مركز لعبادته ، أما ايا المعروف انكي الذي اعتقد السومريون والاكديون ان تحت الأرض وكان يرمز لاله السحر وكانت اريدو مركز رئيسا لعابدته ولمزيد من المعلومات عن ديانة العراق القديم ،ليو اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سوري فيضي، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢١٦- ٢٢٣.

(٢) سورة الانعام ، الآية ٧٥.

(٣) عبد الحميد ، محمد حسين ، ابو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٩ .

(٤) الطبري ، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة، ١٩٦٠ م ، ج١ ، ص ٤٨١، القرطبي ، أبو عبد الله بن محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٢٤٦ .

(٥) محمد حسين عبد الحميد، أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ص، ٤٠.

(٦)ابن كثير ، عماد الدين ابو الفدا إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت، ١٩٨٦م /ج٢ /ص ٢٤٢.

(٧) مهران ، محمد بيومي ، دراسات تاريخية في القرآن الكريم ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٨م ، ج٤، ص ١٢٠ .

(٨) محمد حسين عبد الحميد ، أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ص ٤٠-٤١ .

(٩) النجار ، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ، القاهرة ، د ت ، ص ٨٠ .

(١٠) سورة إبراهيم ، الآية ٨٥ .

(١١) النسفي ، عبد الله بن احمد بن محمود ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، بيروت ، ١٩٨٠ م، ج٢، ص١٩-٢٠.

(١٢) سورة الدخان ، الآية ١٤٩ .

(١٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

(١٤) محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية ، ج٤، ص ١٢٤ .

(١٥) سورة إبراهيم ، الآية ١٥٦ .

(١٦)محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية ، ج٤، ص ١٢٤ .

(١٧) سورة العنكبوت ، الآية ١٦- ٢٧ .

(١٨) محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية ، ج٢ ، ص ١٢٨ .

(١٩) مهران ، محمد بيومي ، إسرائيل ، الإسكندرية -١٩٧٩م ،ج١ ، ص ٥٣ .

(٢٠) محمد حسين عبد الحميد، أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ص ٣١ .

(٢١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص ١٧٧ .

(٢٢) سورة مريم ، الآية ٤١-٤٨ .

(٢٣) سيد قطب ، في ضلال القرآن ، بيروت، ١٤٠٠هـ ، ج٤ ، ص ٢٣١١.

(٢٤) الرازي، الفخر، التفسير الكبير ، القاهرة – ١٩٣٨م ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

[٢٥] سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ج١ ، ص ٢٣١٢ .

[٢٦] سورة إبراهيم ، الآية ٤١ .

[٢٧] سورة العنكبوت ، الآية ٢٦.

[٢٨] سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ .

[٢٩] محمد حسين عبد الحميد ، ابو الأنبياء ، ص ٨٤ .

[٣٠] عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء، ص ٨١ .

[٣١] سورة مريم، الآية ٤١– ٤٨.

[٣٢] محمد بيومي، دراسات تاريخية، ج٤، ص١٣٦.

[٣٣] المرجع نفسه.

[٣٤] سورة الأنبياء ، الآية ٥١.

[٣٥] سورة الأنبياء، الآية ٥٢.

[٣٦] سورة إبراهيم، الآية ٧٦.

[٣٧] سور ة الصافات، الآية، ٨٩.

[٣٨] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٢٦.

[٣٩] سورة البقرة، الآية ٥٨.

[٤٠] ابن ابي شيبة، عبدالله بن محمد، المصنف في الأحاديث والاثار، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ، ج٦، ص٢٥٨.

[٤١] سورة النازعات، الآية ٢٣.

[٤٢] الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج١، ص٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٠٥.

[٤٣] سورة العنكبوت، الآية ٢٦.

[٤٤] سورة الأنبياء، الآية ٧١.

[٤٥] سورة الممتحنة، الآية ٤.

[٤٦] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٥٢.

[٤٧] السردي ، نجود فارس احمد ، الحكمة من دعوة إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس الدراسات العليا ، جامعة النجاح ، الوطنية في نابلس ، فلسطين _٢٠١٠م، ص ٣٥ .

[٤٨] سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

[٤٩] ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب ، مفتاح دار السعادة وولاية العلم و الإرادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د–ت ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

[٥٠] حران : وهي مدينة عظيمة تقع على طريق الموصل و الشام و الروم و قيل سميت بهاران و هاران آخى إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعرفت حران ، وكانت منازل الصابئة ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦ م ، ج ٢ ،ص ٢٣٥ .

[٥١] سورة العنكبوت ، الآية ٢٦ .

[٥٢] سورة الأنبياء ،الآية ٧١ .

[٥٣] الطبري ، جامع البيان . ج ٢ ، ص ١٤٢ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٥٤)

(٥٥) تاريخ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١، ص١٥٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣٠.

(٥٦) تفسير الرازي، ج٤، ص٦٣.

(٥٧) سفر التكوين، الاصحاح، ١٢/١- ٢٠.

(٥٨) سفر التكوين، الاصحاح، ١٨/الآية ١٧.

(٥٩) سورة هود، الآية ٧.

(٦٠) سورة الممتحنة، الآية ٤٠.

(٦١) ابن كثير ، البداية و النهاية ،ج ١، ص ١٥٢ .

(٦٢) محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية ،ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٦٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١، ص١٥٣ .

(٦٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٧ .

(٦٥) سورة الصافات، الآية ١٠٢ .

(٦٦) سورة مريم ، الآية ٤٩ .

(٦٧) أبو سيف ، عبد الله بن علي محمد ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس الدراسات العليا ،كلية الشريعة ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٩٧٧ م ، ص ٦٦ .

(٦٨) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٦٩) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ج٤، ص١١٤.

(٧٠) عبدا لله بن محمد بن علي، الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة، ص٧٥.

(٧١) النسفي، أبو بركات عبدا لله بن احمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت، المكتبة الأموية (د.ت)، ص٧٢.